صورة الطفل المعاق في «أدب الأطفال» دراسة تحليلية لدور الأدب في تعزيز مواطنة ذوي الاحتياجات الخاصة وتحفيز عطائهم

عباس عبد الحليم عباس

الجامعة العربية المفتوحة

الأردن – عّمان

Email: a_abbas@aou.edu.jo

Received:29 April 2019,
Revised: 27 May 2019, Accepted: 20 June 2019,
Published online: 1 (Jan.) 2020

International Journal of Pedagogical Innovations
ISSN 2210-1543
Int. J. Ped. Inn. 8, No. 1, (Jan. 2020)
http://dx-doi.org/10.12785/ijpi/080103

صورة الطفل المعاق في «أدب الأطفال» دراسة تحليلية لدور الأدب في تعزيز مواطنة ذوي الاحتياجات الخاصة وتحفيز عطائهم

عباس عبد الحليم عباس
الجامعة العربية المفتوحة
الأردن - عَمان

الملخص

البحث يختص بدراسة صورة الطفل المعاق في أدب الأطفال، وكيف صوّر كتّاب هذا الأدب (الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة)، وقضاياهم الإنسانية والاجتماعية والنفسية؛ ليلفتوا نظر المجتمع إلى وضع إنساني نحن في غفلة عنه، وتسعى الدراسة لمقاربة نماذج إبداعية محددة من الأدب القصصي المكتوب للأطفال، والذي جعل طفلاً من ذوي الاحتياجات الخاصة ، بطله وشخصيته الرئيسة، أو إحدى شخصيات عمله الأدبي، من أجل تبيّن ملامح هذه الصورة، وطبيعة التمثيلات التي تظهر فيها، في محاولة من الباحث لعرض وجهة نظر المجتمع وموقفه من تلك الفئة من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وفهم وجهة نظر الشخص المعاق نفسه، وموقفه من هذا المجتمع ومن ذاته. ووفهم آلامه وآماله، بهدف فحص دور الأدب القصصي في إبراز جوانب المواطنة الصالحة للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، وتصوير نماذج البطولة الإنسانية والاجتماعية المتوقعة والممكنة في هذه الشخصيات، والكشف عن تنشئتهم التي تبرز فيما بعد قدراتهم ومواهبهم وطاقاتهم في العطاء، والعمل على تطوير الذات والمجتمع، من خلال ما يسرده الكتّاب والمبدعون من أحداث قصصية تتناول جانباً أو أكثر من جوانب شخصية هذه الفئة من الأطفال، وأحداث حياتهم، من خلال تفاعلهم مع الأسرة والبيت والحي والأقارب والمدرسة والمجتمع .

وقد ارتأى الباحث أن يتناول بحثه القضايا الآتية :

١- موقف المجتمع من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة وصورتهم النمطية.

٢- نظرة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة إلى الذات واختلافها عن الآخر.

٣- دور أدب الأطفال في إنتاج البطل المعاق وتعزيز دوره في المواطنة ، وتنشئته على المشاركة والعطاء.

الكلمات المفتاحية: الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، أدب الأطفال، جوانب المواطنة الصالحة، البطل المعاق.

Int. J. Ped. Inn. 8, No. 1, 48 - 69 (Jan. 2020)

Special Needs Children image in the «Children Literature» An Analytical Research about the Role of Literature in Promoting the Citizenship of People with Special Needs and Motivating Them

Abbas AbdelHaleem Abbas
Arab Open University
Amman - Jordan

Abstract

The research deals with studying the image of disabled children in the children literature, and how the writers described them (children with special needs), their humanitarian, social and psychological issues, to draw the attention of society to the humanitarian situation in the absence of it. On this basis, the study seeks to compare specific creative models of written fiction for children, who made a child with special needs, a hero and his character literary work, to identify the future of children with special needs. To understand the perspective of the disabled person towards the society and towards themselves, their pains and hopes. In order to examine the role fiction in highlighting the aspects of citizenship suitable for special needs, and portraying the human and social models the personalities, and to reveal their developments which highlight their abilities, talents, giving's, and their working on self-developments through authors stories that deal with one or more aspects of their personalities, life, events, and interaction with family, home, neighbourhood, relatives, school and society.

The research deals with three issues:

1. The society's attitude towards special need children and what their image represents
2. The perception of special needs children towards themselves and their differences
3. The role of children's literature in presenting a special need hero and enhancing his role in participating in the society.

Keywords: Special needs children, children literature, aspects of good citizenship, disabled hero.

صورة الطفل المعاق في «أدب الأطفال» دراسة تحليلية لدور الأدب في تعزيز مواطنة ذوي الاحتياجات الخاصة وتحفيز عطائهم

عباس عبد الحليم عباس
الجامعة العربية المفتوحة
الأردن - عَمان

مقدمة:

حين يجعل الأديب شخصية البطل في عمل من أعماله طفلاً معاقاً، من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، فلا شك أن له هدفاً وغاية، ولا شك أيضاً أنه يرمي إلى عرض قضية إنسانية يضعها أمام القاريء والمجتمع، إما لتأييد فكرة أو لنفيها، وإما لطرح قضية بحاجة للبحث والنقاش، أو ليلفت نظر المجتمع إلى وضع إنساني نحن في غفلة عنه، وعلى هذا الأساس تسعى هذه الدراسة لمقاربة نماذج إبداعية من الأدب القصصي المكتوب للأطفال والذي جعل طفلاً من ذوي الاحتياجات الخاصة، بطله وشخصيته الرئيسة، أو إحدى شخصيات عمله الأدبي، من أجل تبيّن ملامح هذه الصورة، وطبيعة التمثيلات التي تظهر فيها، عبر أعمال إبداعية قصصية مختلفة، في محاولة من الباحث لعرض وجهة نظر المجتمع وموقفه من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وفهم وجهة نظر الشخص المعاق نفسه، وموقفه من هذا المجتمع. وآلامه وآماله.

كما تحاول الدراسة تلمس دور الأدب القصصي في إبراز جوانب المواطنة الصالحة للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، وتصوير نماذج البطولة الإنسانية والاجتماعية المتوقعة والممكنة في هذه الشخصيات، والكشف عن تنشئتهم التي تبرز فيما بعد قدراتهم ومواهبهم وطاقاتهم في العطاء، والعمل على تطوير الذات والمجتمع، من خلال ما يسرده الكتّاب والمبدعون من أحداث قصصية تتناول جانباً أو أكثر من جوانب شخصية هذه الفئة من الأطفال، في تفاعلهم مع الأسرة والبيت والحي والأقارب والمدرسة والمجتمع.

ومما يؤسف له حقاً أن هذه الشريحة من المجتمع: الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، أو ذوي الهمم كما يسمّون في بعض المجتمعات الخليجية، لم تنل اهتماماً كافياً من الكتّاب والمبدعين القصاصين الذين يكتبون أعمالاً قصصية وروائية للكبار، إذ من النادر وجود عمل قصصي أو روائي مقدّم للبالغين، جعل شخصيته الرئيسية طفلاً معاقاً، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على إهمال واضح من ثقافتنا العربية ومبدعينا لهذه الشريحة من المجتمع وقضاياها ومشكلاتها، الاجتماعية والثقافية والإنسانية، وكأن الإبداع العربي لا يعدّ ذوي الاحتياجات الخاصة جزءاً فاعلاً في مجتمعاتنا، بل أسرنا وبيوتنا! مع أن مشكلة الإعاقة في جوانبها التربوية والصحية والمؤسسية في عصرنا الحاضر قد «طرحت نفسها كقضية مهمة، وأصبح موضوع إدماج المعاقين في الحياة الاجتماعية واجباً تفرضه القيم الأخلاقية، حتى أصبحت رعاية المجتمع واهتمامه بالمعاقين معياراً للحكم على مدى تقدّمه، خاصة بعد تركيز المجتمع الدولي على مشكلات المعاقين، وتعاون الهيئات والمؤسسات الدولية في توفير الرعاية اللازمة لهذه الفئة المهمة، مع القيام بالدراسات والبحوث اللازمة في مختلف المجالات لخدمة

Int. J. Ped. Inn. 8, No. 1, 48 - 69 (Jan. 2020)

المعاقين، ومساعدتهم في التغلب على مشكلاتهم المزمنة (إبراهيم، ٢٠١٠، ص ١٣)

غير أن الأدب عموماً ما يزال على ما يبدو بمنأى عن مثل هذا الاهتمام. فجاءَت هذه الدراسة لتبيّن هذه الحقيقة المجحفة بحق الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، ولا سيما فئة الأطفال منهم، لعلها تمثل حافزاً للمبدعين ليولوا هذا الجانب ما يستحقه من أهمية، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الدراسة تسعى أيضا لتأمل ما استطاع الباحث أن يجده من نماذج قصصية في أدب الأطفال، تلك التي اتخذت من هؤلاء الأطفال شخص بطلها وشخصيتها المحورية، ومن ثم تفحص صورة هذا الإنسان في علاقاته المختلفة، وتفاعلاته المتعددة، لتتضح لنا ملامح هذه الصورة، وكيف عالجها المبدع، في محاولة لعرض قضاياها وإشكالاتها الاجتماعية والثقافية والإنسانية، من أجل تأكيد كفاءَة الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وإمكانية الاندماج في المجتمع، والانتماء إليه، وتحقيق صور المواطنة الفاعلة لتلك الشريحة، ودفعهم نحو المشاركة والعطاء.

والبحث يتناول قضايا الثلاث الآتية:

١- موقف المجتمع من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة وصورتهم النمطية.

٢- نظرة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة إلى الذات واختلافها.

٣- دور أدب الأطفال في إنتاج البطل المعاق وتعزيز دوره في المواطنة، وتنشئته على المشاركة والعطاء.

وبين قضية وأخرى من هذه القضايا الثلاث ستبرز مسائل وإشكالات فرعية بحسب النصوص المدروسة، سيتناولها البحث في حينه.

١- موقف المجتمع من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة وصورتهم النمطية:

ظلّ المجتمع العربي إلى فترة غير بعيدة يعزل الأشخاص المعاقين عن الاختلاط الاجتماعي ولا تفضّل أسر هؤلاء الأشخاص ظهورهم أمام الناس لاعتبارات اجتماعية كثيرة، قد يكون من بينها عدم الرغبة في تعريضه لنظرة الشفقة وما شابه، أو لعدم رغبة الأهل في معرفة الآخرين شيئاً عن الظروف الوراثية للأسرة، وما يتعلق بهذا من رغبتهم في تجنب الإحراج، وغير ذلك من التفكير الاجتماعي ضيق الأفق، لكن مع التطور العلمي والتربوي الذي حدث في مجال التربية الخاصة وتعليم الأشخاص ذوي صعوبات التعلم، ومع تطور الاهتمام الرسمي والمؤسسي بهم بدأت الأمور تتغير نحو الأفضل، خاصة بعد الاهتمام العالمي بذوي الاحتياجات الخاصة والذي أثمر عن إطلاق ميثاق حقوق المعاقين ورعايتهم عام ٢٠٠٨، ومن هنا يجب «إيجاد نوع من التدعيم الأسري والمؤسسي للتعاون مع أفراد هذه الفئة، في تقليل تأثير الإعاقة فيهم بمساعدتهم على الاندماج في المجتمع، والتغلب على الاتجاهات السلبية نحوهم، سواء بالخجل منهم، أو الشعور بالذنب تجاههم، أو الانعزال بهم عن المجتمع، حيث تلعب نظرة واتجاهات واستجابات الفرد العادي نحو المعاق دوراً رئيسياً في صياغة وتشكيل الذات عند المعاق». (إبراهيم، ٢٠١٠، ص ١٩)

فما بالنا بالدور الذي يلعبه المجتمع ككل في نظرته لهؤلاء الاطفال ؟!

لقد وعى كتّاب الأطفال هذا الجانب المهم والمؤثر في حياة المعاق، فحاولوا إبرازه في بعض أعمالهم. ففي قصة (لا شيء يعيقني) للمؤلفة د. سنا الحاج (الحاج، ٢٠١٧) تبرز هذه المسألة بوضوح حين يدفع الأب ابنته للخروج إلى الدكان المجاور وحدها:

«- اليوم ستذهبين أنتِ إلى دكان أبي جميل، وستشترين المثلجات بنفسك.

- كيف أخرج وحدي ؟!

- ستخرجين وحدك لأن الدكان قريبة، ولا

سيارات تمر في الحيّ.

خرجت إلى الشارع أمشي، وكل ما كنت أفكر فيه المثلجات فقط، وقبل أن أصل إلى دكان (أبي جميل) بخطوات قليلة، رأيت عدداً من أولاد الحي يلعبون، ثم توقفوا عن اللعب، وتجمعوا حولي ينظرون إليّ كأنني كائن آت من الفضاء. ضحك أحدهم، واقترب آخر يريد أن يأخذ مني إحدى عكازاتي، خفت كثيراً وحاولت الابتعاد فلم أتمكن من ذلك لأنهم وقفوا في طريقي. وإذ بصوت (أبي جميل) يصرخ: هيا انصرفوا وابتعدوا عنها!» (الحاج،٢٠١٧، ص ص٤-٥)

فكما تبين، توضح الكاتبة أن المجتمع، وخاصة الأطفال الأسوياء، لديهم نظرة مسبقة تشير إلى أن الشخص الذي يعاني من إعاقة شخص فيه نقص، وقد يكون هذا مثار سخرية أو تعجب واندهاش، ولا مشكلة إن وقف الأمر عند مجموعة من الأطفال الجاهلين، لكن الأخطر أن نستنتج عدم وجود توعية من أهل هؤلاء الاطفال، أو مدارسهم، تشرح للجميع ضرورة تقبل المعاق وعدم السخرية منه، فالخلل إذن اجتماعي وتربوي .

وإذا كان هذا الأذى من المحيط الاجتماعي يمثل صورة قاسية في التعامل مع طفلة ذات احتياجات خاصة، فإن ثمة صورة أخرى بالرغم من أنها أقل قسوة ، إلا أنها تبقى صوراً غير مقبولة، حيث يُنظر إلى الطفل المعاق على أنه (مسكين!) أو ما شابه، ففي قصة (الكرسي المتحرك لا يعيقني) من مجموعة حدائق العسل للكاتبة الكويتية أمل الرندي (الرندي، ٢٠١٤)، تتفق نجلاء وريم للذهاب إلى الحديقة معا، وعند مشاهدة فتاة جالسة وحدها تنويان الحديث معها: «وعندما اقتربنا انتبهنا إلى أنها تجلس على كرسي متحرك، قالت ريم بصوت يملؤه الحزن والأسى :

حرام! مسكينة! انظري يانجلاء! إنها تجلس على كرسي متحرك، لا تستطيع اللعب معنا !! ردت نجلاء بحزم: ريم أرجوك اخفضي صوتك حتى لا تسمعك، لا تشعريها أبداً بأنها مختلفة عنّا». (الرندي، ٢٠١٤، ص١٠)

وبذا فقد ارتبطت رؤية شخص من ذوي الاحتياجات الخاصة بكلمات مثل: مسكين! يا حرام! حزين! وغيرها وهي لغة صادمة تحمل في طياتها مفهوم الشفقة الاجتماعية على فئة من الناس، وكأن المجتمع لا يؤمن بطاقات هذه الفئة ولا بإمكاناتها على ممارسة حياة عادية وطبيعية، وما هم إلا أشخاص مهمشين وغير طبيعيين .

وفي بعض الأحيان نتفاجأ حين نجد فئة مثقفة ومسؤولة هي التي تسيء إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، ففي قصة (نايري وردة الأمل) للكاتبة سيرين الغصاونة (الغصاونة، ٢٠١٥)إشارة لمثل هذا النمط من الإساءَات، حيث المعلمة هي التي تمارس هذا السلوك الشنيع «تدق الساعة السابعة والنصف، وعلى نايري الذهاب برفقة والدها إلى المدرسة .. مادة الرياضيات كانت هي أول حصة في برنامج اليوم عند نايري وبقية الطلاب، وفي أثناء الحصة تكلّف المعلمة الطلاب جميعهم بحل التمرين، وعندما وصل الدور عند نايري سألتها المعلمة: لم أنت بطيئة هكذا ؟ أسرعي هيا .

وقالت معلمة الرياضيات بغضب: رغم أنك طويلة وسمينة أنت تجلسين في أول الصف، نايري، وفوق هذا لا تكتبين على السطر داخل الدفتر، يبدو أنك لا تصلحين لأي شيء! ...

وبعد خروج المعلمة بدأت ضحكات الطلاب وسخرياتهم من نايري، وما هي إلا لحظات حتى قرع الجرس إيذاناً لنزول الطلاب إلى الساحة وقت الفرصة». الغصاونة (قصة مخطوطة الغصاونة، ٢٠١٥ ،ص٣)

وبالرغم من أننا لا نعمم مثل هذا السلوك من المعلمة أو زملاء نايري من الطلبة، لكنه سلوك موجود وملحوظ في المجتمع، ولا يمكن التغاضي عنه، وقد يكون سلوكاً مدمراً لنفسية ذوي الاحتياجات الخاصة .

وقد أكد ذوو الاختصاص أن «إساءة معاملة الأطفال عموما، والأطفال ذوي الإعاقة خصوصا، من أكبر المخاطر التي تهدد جوانب النمو النفسي والانفعالي السوي الطبيعي، وتعوق الصحة النفسية السليمة للطفل، وذلك نظرا لما يترتب عليه من آثار نفسية مدمرة لذاته، وتوافقه الشخصي والاجتماعي، ، قد تصل أحيانا إلى الاكتئاب والإقدام على الانتحار في مرحلة المراهقة والشباب» (القريطي ،٢٠١٠، ص ٨٤)

وربما تتصعّد هذه الأساءَة في نظر بعض الكتاب حتى تصل إلى درجة في غاية البغض والكراهية حين يرسم الكاتب صورة بشعة لاستغلال جانب من المجتمع لضعف الإنسان المعاق، وافتراسه جنسياً، وقد عبّرت الكاتبة تسنيم حسن عن اغتصاب طفلة معاقة تعبيراً يحمل أشد أنواع الإدانة في قصة (ثوبي أبيض) (حسن، ٢٠١٣) حيث الجنون الذي يسيطر على أم هذه الفتاة التي تم الاعتداء عليها جنسياً، فهذه الأم: «شعرتْ بأن شيئاً ما يطبق على أنفاسها، وبنفثه شيطانية أخرى تذكرت ذلك العرض الذي قدمته لها إحدى الجمعيات الخيرية عن استئصال رحم ابنتها للتخفيف من حجم الأضرار التي من الممكن أن تتعرض لها فتاة بمثل حالتها وإعاقتها الذهنية، إذا تم الاعتداء عليها واغتصابها . نهضت بسرعة واندفعت نحو النافذة تحاول استنشاق الهواء، فقد أصبح المكان حولها موحشاً ومخيفاً وخانقاً.

- نظرت إلى ابنتها وفكرت: ليس عدلاً أن يستأصلوا رحمك، ليس عدلاً !...
- يا له من مجتمع قاس !!» (حسن، ٢٠١٣)

نعم، إنه مجتمع في غاية القسوة، الذي يترك الفرصة لشاب عابث أن يستغل فتاة صغيرة ويستغل إعاقتها الذهنية ليفعل فعلته القذرة، في حين أنها الكائن الأكثر حاجة إلى الرعاية والعناية والاهتمام، وفوق هذا يكون الحلّ المقترح بعمل جراحي لاستئصال رحم هذه الفتاة، فالحل في نظر الكاتبة لا يقل قسوة وعنفاً عن الجريمة نفسها.

ومع هذا كله، وبالرغم من قسوة المجتمع وسوء نظرته في كثير من الأحيان لهذه الفئة من الناس، إلا أن الشر لا يمكن أن يكون مطلقاً، فثمة جانب إنساني مشرق لا يزال حياً في المجتمع تجاه هؤلاء الأشخاص، وهو جانب لا يمكن أن يغفل، فمثلما تحمل المجتمعات في طياتها نزعة الشر، فهي تحمل نزعة الخير أيضاً، فهذه طبيعة الحياة، ومثال ذلك ما ورد في قصة (نايري) نفسها، فبعد أن قست عليها معلمة الرياضيات، وسخر منها زملاؤها «تأتي كارولين، وهي إحدى الطالبات مع نايري في الصف نفسه، خاطبتها قائلة :

- لا عليك نايري .
- تنظر نايري باستغراب نحو كارولين قائلة :

شكراً لك .. أشكر لطفك.

فضّلت كارولين قضاء وقت الفرصة بجانب نايري، والتقرب منها أكثر، حتى قالت لها مبتسمة: أنا أُدعى كارولين، ويسعدني لو أصبحنا صديقتين» (الغضاونة ،٢٠١٥، ص٤)

ومن المقاطع الإيجابية في موقف المجتمع من ذوي الاحتياجات الخاصة، ما ورد في قصة وسام سعد (حينما صرخ الأطفال بقوة) وهي قصة طفل اسمه (حقوقي) (سعد ٢٠١٦)

والاسم بطبيعة الحال ذو دلالة – وهذا الطفل يقوم بجولة في المدينة مدوناً ملاحظاته: « أكمل حقوقي التجوال في المدينة، وبعد وقت قصير أوقفه مشهد طفل معاق يريد عبور الشارع، لكنه لم يستطع التحكم بكرسيّه المتحرك، وكباقي الأطفال كان يضع لاصقاً على فمه، تقدّم (حقوقي) لمساعدته وهو يتساءَل :

لماذا لا يكون هناك أرصفة، وأماكن مخصصة تسّهل على المعاقين العبور والتنقّل بين الأحياء السكنية» (سعد ٢٠١٦، ص١٠)

فالمشهدان السابقان يحمل كل منهما موقفاً اجتماعياً إيجابياً، ويتضمن كل مشهد من المشهدين دعوة اجتماعية للتغيير، وبالرغم من أنها رمزية في مشهد كارولين ونايري، حيث يمثل الأول دعوة لعقد صداقة مع هذه الفئة، لا السخرية منها، الا أن المشهد الثاني لدى (حقوقي) كان دعوة معلنة، ونداءً واضحاً لتسهيل استخدام المرافق العامة لذوي الاحتياجات الخاصة .

وثمة موقف اجتماعي لإحدى الأمهات في السوق تمنع ابنها من إحراج أحد الأشخاص من هذه الفئة: «كنت أتسّوق مع والدتي في المتجر الكبير، عندما نبهتني أمي ألاّ أتصرف بطريقة لافتة، حتى لا يشعر الطفل الذي يجلس على كرسيّ متحرك أنه مريض، ويختلف عني، ويشعر بالحرج». (البكري، ٢٠١٥، ص٤)

وبهذا التوجيه من الأم يمكن القول بأننا أمام موقف اجتماعي تربوي، فهذه الأم تقدّم توجيهاتها لفرد في أسرتها كي لا يحرج طفلاً على كرسي متحرك، وبهذا تقدّم المؤلفة صفية البكري وجهة نظر تقوم على ضرورة أن يكون هناك دور تربوي للأسرة أولاً يؤسس سلوكاً اجتماعياً إيجابياً في التعامل مع هذه الفئة . وهنا يتبّدى دور القصة في توجيه المجتمع، فالقصة هي «صورة الحياة، وقد حمّلت بمنظومة القيم التي يسعى الإنسان إلى ترسيخها، وعلى وجه الخصوص ترسيخها في عقل وإدراك ووجدان الطفل «(زلط، ١٩٩٨، ص١٧٢) ليستقيم سلوكه في تعاملاته الاجتماعية مع الآخرين .

ومثل موقف الأم في مراعاة المشاعر النفسية نجد نجلاء تستحضر تعليمات أمها في قصة (الكرسي المتحرك لا يعيقني) حيث تدعو صديقتها ريم لخفض صوتها وتعليقاتها حول الكرسي المتحرك: «ردت نجلاء بحزم: ريم، أرجوك اخفضي صوتك حتى لا تسمعك، لا تشعريها أبداً بأنها مختلفة عنا، فالله خلق الإنسان السليم والمريض، واحمدي الله على أنك سليمة الجسد ... هكذا قالت لي أمي عندما شاهدت طفلاً لا يستطيع الحركة، ونبهتني ألّا أتصرف بطريقة لافتة .

ردت ريم باستحياء: صدقت يا نجلاء .. سأتعامل معها كأنها طبيعية مثلنا. ثم بدأتا تقتربان منها أكثر فأكثر، تسبقهما فرحتهما بالتعرف إلى الجارة الجديدة». (الرندي، ٢٠١٤، ص١٠)

فالأم كما نلاحظ هي من دفعت بنجلاء لاتخاذ هذا الموقف الإيجابي من تلك الفتاة، من ها نحن ثانية نلمس الدور التربوي الحقيقي للأسرة ممثلة بالأم .

وإذا كانت معلمة نايري صورة إجتماعية من صور الإحباط، فإن معلمة (فرحان) التلميذ صاحب الكرسي المتحرك تمثل صورة عكسية، على الضد تماماً، فهي تشرح للطلبة أن ذوي الاحتياجات الخاصة يعانون من العوائق المعمارية «ثم بدأت تشرح: بعض المباني أبوابها ضيقة جداً، ولا يمكن أن يمر منها كرسي متحرك مثل كرسي فريد. كذلك فإن غالبية المصاعد صغيرة جداً، أو لا يوجد إلا العتبات والسلالم، وهذه العوائق التي يطلق عليها عوائق معمارية موجودة في أماكن كثيرة، وللأسف فهي موجودة في مدينتنا: مدينة فأر الجديدة وهنا رفعت تلميذة يدها وسألت: لماذا؟

- فردّت المعلمة: للأسف، إنّ هذه العوائق لا ينتبه إليها الأفراد غير المعاقين، وبالتالي لا يفكرون في هذه العوائق .
- قال فرحان: علينا أن ننبه الجميع وأن نشرح لهم .. وبدأنا جميعاً نتناقش .. «(سيتلتون، ٢٠٠٧، ص١١-١٢) .

وبالرغم من أن هذه القصة مترجمة، إلا أن الفكرة الأساسية فيها لا تختلف أبداً عن الفكرة التي طرحها (حقوقي) في القصة السابقة: (حينما صرخ الأطفال بقوة) فالحاجات الإنسانية واحدة، مهما اختلف الزمان والمكان . لذا توصي

Int. J. Ped. Inn. 8, No. 1, 48 - 69 (Jan. 2020)

الدراسات بضرورة «تهيئة الأنشطة الاجتماعية والترويحية والثقافية التي تسهم في خلق جو اجتماعي، وروابط اجتماعية بين الأطفال العاديين والأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، والتي تساعد في الوقت ذاته على اكتشاف استعدادات الطفل، وتنمية مهارته، وشغل وقت فراغه، وتمكنه من التفاعل الاجتماعي والشعور بالسعادة «العمري (العمري، ٢٠١٧، ص ٣١).

إذن، نحن أمام كتّاب يطرحون صوراً متعددة للنماذج الاجتماعية السلبية والإيجابية، وهي نماذج موجودة فعلاً في الحياة، والأدب في إحدى أبرز مهامه، إنه يعكس الحياة. وقد لاحظنا أن كثيراً من المواقف الاجتماعية الإيجابية صنعها الأطفال أنفسهم، مما يشير إلى أن مبدعي أدب الأطفال يؤمنون بوعي الطفولة

وإمكاناتها في تغيير الواقع، بالرغم من «أن مجتمع الثقافة العربية لم يتجاوز نظرته الجامدة والمربكة معاً بإزاء الأطفال، وبالتالي لم يتمكن كتّابه عموماً من التحرك بحرية نحو عالم الطفل، ومحيطه الصعب». (الجراح، ٢٠٠٢، ص ٥٥)

وتزايد هذا الإرباك مؤخراً، حين ازداد انتشار التكنولوجيا، واقتحمت وسائل التواصل الاجتماعي عالمنا ومجتمعاتنا وبيوتنا، وبدأ الكتّاب يواجهون وعياً طفولياً متنامياً، غير ذاك الذي عايشوه في طفولتهم، حيث غدا أطفال هذا العصر أكثر اطلاعاً، وأوسع ثقافة وأشد معرفة ومطالبة بحقوقهم، كل هذا يضع صنّاع الثقافة ومبدعيها أمام تحديات ومتغيرات جسيمة، ولا سيما وهم يكتبون للأطفال، هذه الفئة التي يحتاج كل من يتصدى للكتابة لها إلى مهارات ومعارف خاصة في اللغة والتربية وعلم النفس، وخصائص الفئات العمرية المختلفة، هذا فيمن يكتب عن الأطفال العاديين، فما بالنا فيمن يكتب عن ذوي الاحتياجات الخاصة ؟!

لقد أوضحت جون آيكن المختصة بالكتابة للطفل، أن «للأطفال احتياجات ضخمة، وقد يكون في محيطهم وتنشئتهم فجوات تؤدي إلى كوارث . إذ لا يعيش جميع الأطفال في عوائل سعيدة أو بيوت منظمة جيداً، وأي طفل مهما كان موفور الحظ، قد يكون بحاجة يمكن أن تساعد القراءَة على ملئها، فهل يشعر الكتّاب بأي مسؤولية أخلاقية تجاه ذلك؟ وهل بوسعهم عمل شيء لملء هذه الفجوات؟» (آيكن، ١٩٨٨، ص٤٣) هذا هو السؤال! وهذا هو التحدي الذي ينتظر كل من يكتب للأطفال .

كنت قد أشرت فيما مضى إلى موقف المجتمع من ذوي الاحتياجات الخاصة، سلباً وإيجابياً، كما تبدى ذلك في نماذج قصصية متنوعة، مما بين أيدينا من أدب الأطفال، ولا شك أن المزيد من النماذج يقدّم لنا تنوعاً في وجهات النظر، وتعدداً في زواياه، وإذا كنت قد بدأت بالجانب السلبي وانتهيت في الجانب الإيجابي للموقف الاجتماعي من هذه الشريحة من الناس، فإن أحد النماذج يصوّر تنامي دور الأسرة وعدم وقوفه عند دعم أبنائهم فقط، بل يتجاوز ذلك لدعم أبناء الأسر الأخرى المماثلة، ممن لديهم أحد الأبناء من ذوي الاحتياجات الخاصة، فها هي أم دعاء (الفتاة الكفيفة) تنشر رقم هاتفها، وتتلقى الاتصالات للمساعدة، قائلة: «لقد كوّنت أنا وبعض الأمهات منذ سنتين جمعية لدعم أسر الاطفال المكفوفين، والحمد لله ساعدت هذه الجمعية أسراً كثيرة رغم إمكاناتها المحدودة .

- سألتني المديرة: وما مشكلة الأم التي اتصلت بك منذ قليل ؟
- قلت: إن الأب يحرم ابنته المكفوفة من الالتحاق بالمدرسة
- حنان: وكيف ستساعدين تلك الأسرة ؟
- أجبت: لكل مشكلة حل». (الخطيب، ٢٠١٢، ٦، ص١١)

وكأني بالمؤلف يوضح أهمية الثقة بالنفس والتفكير الإيجابي، والتفاؤل في حل مشكلات هؤلاء الأطفال، فبالرغم من أنهم يمثلون (مشكلة)

لبعض الأهل، إلا أنّ أم دعاء تقدم تصوراً إيجابياً يعكس هذا الموقف الاجتماعي المطلوب من أسر هؤلاء الناس . ولا شك أن أي أدب – للكبار أو للصغار – ينبغي أن يتبنى وجهة النظر الإيجابية في الحياة، ليحقق الأدب رسالته ومهمته، ويزداد هذا الأمر إلحاحاً في أدب الصغار تحديداً «باعتباره وسيطاً تربوياً يتيح الفرصة أمام الأطفال لمعرفة الإجابات عن أسئلتهم واستفساراتهم، ومحاولات الاستكشاف، واستخدام الخيال، وتقبّل الخبرات الجديدة .. لتحقيق الثقة بالنفس، وروح المخاطرة، وحب الاستطلاع ..» (عبد الفتاح ،٢٠٠٤، ص٩). شرط أن تتم العناية بهم وبحاجاتهم وميولهم، ويتم العمل على توفير مناخات مناسبة لبناء جسور التواصل بينهم وبين مجتمعاتهم .

لقد دفعت العناية العلمية والتربوية التخصصية المتزايدة بذوي الاحتياجات الخاصة وذوي صعوبات التعلم هذه الأيام، بالباحثين والأكاديمين والكتّاب المبدعين لإدراك أهمية جسر الفجوة بين هؤلاء الأفراد وبقية عناصر المجتمع، والدراسة الحالية التي تتخذ من صورة الطفل المعاق في أدب الأطفال حقلاً للدراسة تؤكد أن غالبية الكتاب يعملون على توجيه المجتمع نحو الدفاع عن هذه الفئة، وجعلها في أولويات عنايتهم واهتمامهم، على الرغم من أن الواقع ليس كذلك، لكن الأدب لا يقف عند تصوير الواقع فحسب، بل يتعدى ذلك إلى (الممكن) (والمأمول). وهذا ما يدعونا لنفهم إصرار أسرة (مريانا) المصابة بشلل دماغي على إشراكها في كل نشاط يقوم به أي طفل عادي، فأخواها الطفلان مصطفى وجعفر يشجعانها على الرقص مع بقية الأطفال، وعلى سباق الجري وهي تمسك بجهاز المشي الخاص بها، برغم كل الظروف، «قال جعفر هيا نشارك في السباق، لكن مريانا رفضت، وقالت: أنا لا أستطيع الركض، ردّ جعفر قائلاً، أنا ومصطفى سنكون إلى جوارك نساعدك، جرّبي يا أختاه، ولن تخسري شيئاً. وافقت مريانا، ركض جميع الأطفال وركضت معهم بجهاز المشي، لكن سرعان ما تعثرت وسقطت، وبدأت بالبكاء، لاحظ الجميع ما حدث، هرعوا نحوها ليساعدوها على إكمال السباق معهم، وهم يشجعونها». (أبو سمحة، ٢٠١٧، ص ١٦-١٧).

ولا شك أنّ لهذا التشجيع من المجتمع المحيط بالأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة كبير الأثر في منحهم الثقة بالنفس، وجعلهم يشعرون بذواتهم وقدراتهم وكفاءَتهم، وقد تركزت أنظار الكثير من المبدعين وكتّاب أدب الاطفال الذين عُنوا بتصوير أحوال هذه الفئة من الأطفال على هذا الأثر وقيمته الإيجابية، لذا لا تكاد تخلو قصة من قصصهم في هذا الميدان من عناية واهتمام بهذا الجانب الضروري والمشرق، وهم يخصون بدرجة أولى المجتمع القريب من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة (الأهل) آباء وأمهات وأخوة وأخوات، فلهؤلاء الناس تأثير قوي في هذه الشريحة، بل في الأطفال عموماً، وإنّ أحدث الدراسات توضح «أنّ قدراً لا بأس به من النصح صار يوجه الآن نحو حض الأمهات والآباء على العمل بجد ليظهروا بمظهرٍ السعداء أمام صغارهم، ليقدّموا مثالاً وسياقاً إيجابيين، سواء عليهم، أشعروا بالسعادة فعلاً أم لا ... لقد حض علماء النفس على أهمية السعادة الطفولية». (ستيرنز ٢٠١٥، ص٢٦٠)

وبالتأكيد فإن هذه السعادة تكمن في العمل على إشراك الأطفال في الأنشطة والألعاب والتسالي المجتمعية، لا في نبذهم وإقصائهم. وإذا اقترن هذا الإشراك بالتشجيع والدعم والرعاية، فإنه بلا شك سيدفع باتجاه الإنجاز والإبداع «فالإبداع ذو جذر اجتماعي، إذ إن البيئة تساعد على تفتح الموهبة وقيادتها إلى الإنتاج الإبداعي، إذا كانت تعي مهمتها التربوية». (الفيصل ١٩٨٨، ص٢٦) المتأسسة على ضرورة النظر إلى هؤلاء الأطفال على أنهم قادرون على العطاء، إذا استثمرت مواهبهم وطاقاتهم بالشكل الصحيح .

وهو ما تؤكده نماذج أدبية أخرى ينبغي

Int. J. Ped. Inn. 8, No. 1, 48 - 69 (Jan. 2020)

استحضارها للوقوف على هذه الصورة الإيجابية في الموقف الاجتماعي من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وهي ذات بعدٍ توعوي ربما يكون الإكثار منها وتعزيزها مطلوباً لجعلها بمثابة القدوة التي ينبغي على المجتمع الاقتداء بها، ولربما كان نشر مثل هذه النماذج في المجتمع، في المدارس ووسائل الإعلام، والتحفيز على قراءَتها، ومطالعتها يؤدي إلى تأسيس وعي مجتمعي بمحبة ذوي الاحتياجات الخاصة، واحتضانهم، والنظرة الإيجابية لهم، وبذل الجهود من أجلهم .

لذا كان الاحتفاء بطارق الذي يستخدم الكرسي المتحرك، بعد أن شارك في مهرجان للرسم بلوحة جميلة سلوكاً إيجابياً ومحفزاً، «وفي حفل إعلان النتائج فاز طارق بالمركز الأول، فوقف الجمهور ليصفقوا لطارق .. صفقوا له كثيراً لأن لوحته جميلة .. جميلة جداً، عندما انتهى التصفيق ارتفع صوت طارق من بعيد يشكر الجمهور بعبارات لطيفة، لم يقف طارق ليحيي الجمهور، فطارق لا يستطيع الوقوف على قدميه، لكنه يستطيع أن يبدع بالألوان». (صالح ٢٠١٦، ص١٨-٢٢) لقد كان هذا التصفيق من (الجمهور) وليس من فردٍ، وهذا ما ينبغي العمل عليه، أن يكون الدعم عاماً ومؤسسياً، لا فردياً فحسب، على الرغم من أهمية أي دعم فردياً كان أم مؤسسياً .

لقد ذهب بعض الكتّاب إلى تصوير الجانب المضيء في النظر إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، دون الوقوف عند هذا الحدّ، بل صوّروا أيضاً أهمية العمل من أجلهم، فها هي القاصّة سناء الشعلان في روايتها (بيت ديمة: رواية خيال علمي لليافعين واليافعات) تقدّم إهداءً لهذا العمل على لسان (ديمة) بقولها: «المعاقون الحقيقيون هم من فقدوا قدراتهم على حب الناس والإنجاز، وفعل الخير، ومرّوا في الحياة دون أن يتركوا بصمة خير على درب الحضارة البشرية . أمّا نحن فأصحاب احتياجات خاصة لا معاقين، نحن نحب الحياة والعمل والخير والنماء» (مخطوط الشعلان، ٢٠١٧، ص١).

ففي هذا العمل الذي اتخذ من ديمة وآخرين من ذوي الاحتياجات الخاصة (متلازمة داون) أبطالاً، نلمس نظرة جديدة وفريدة لهذه الفئة، كما عبّرت عنها ديمة بالقول: «والدي يقول إنني فتاة مختلفة ومميّزة لأني مصابة بهذا المرض، ولذلك عليّ أن أشعر بالسعادة لأنني مختلفة ومتميّزة عن غيري من الأطفال؛ فالله يميّز الأطفال الذين يحبهم، ويقول لي كذلك إنّ عليّ أن أجد طريق السعادة نحو نفسي بإيماني بأنني أستحق الحياة، وأنني غير ناقصة، وأنا أثق بكل ما يقوله أبي الذي وجدت معه وأصدقائي المتميّزين في (بيت ديمة) طريق السعادة والفرح». (مخطوط الشعلان، ٢٠١٧، ص٦)

ولعل هذا الإيمان بما يقوله والدها أسس لديها الرغبة في الحياة، وبناء العلاقات والصداقات مع أشخاص مماثلين، وهو ما جعلها لا تحبط ولا تهزم حين وجدت إحدى الممرضات «تعجب من اهتمام أبي وأمي ببقائي على قيد الحياة على الرغم من أنني مصابة بمرض (متلازمة داون) وسمعت ممرضاً آخر ينعتني بالمنغولية» (مخطوط الشعلان ، ٢٠١٧، ص)

وهذا يشير إلى أن أصحاب الاختصاص أنفسهم بحاجة لمزيد من التأهيل حتى لا يتعرض مرضاهم من هؤلاء الناس لمواقف محرجة، أو جارحة لأحاسيسهم، وفي هذا إدانة واضحة من الكاتبة لهذا الواقع الذي يمارس في هذه المؤسسات أحياناً .

وإذا كانت الصفحات السابقة تناولت مواقف اجتماعية متفاوتة تجاه الأشخاص ذوي الحاجات الخاصة كما عرضها بعض الأدباء في أعمالهم، نجد أدباء آخرين يتناولون الموقف الاجتماعي تجاه أسر هؤلاء الأشخاص وذويهم، في دعوة منهم لتجنب إحراجهم أو جرح مشاعرهم، ففي قصة (أخي لديه توحد) لجمال الخطيب، يبدو واضحاً كيف اعتذرت ليلى عن (حشريتها) أو تدخلها فيما

لا يعنيها لصديقتها وفاء بسبب سؤالها عن أخيها باسم» لماذا يتصرف هكذا ؟ أجبتها متنهدة: أخي باسم لديه مشكلة سلوكية تجعله يفعل أشياء غريبة. ولما أدركتْ أنني شعرت بالحزن، قالت: أنا آسفة، ما كان ينبغي أن أسأل».،(الخطيب، ٢٠١٢، ٦، ص٩)

وكثيرون منا لا يدركون أن أسئلتهم هي نوع من (الحشرية) والتدخل في أمورٍ لا تعنيهم، والأصعب من ذلك أنها تسبب إحراجاً وضيقاً لأسرة هذا الطفل وذويه، وربما يعلمنا هذا الموقف أهمية عدم التدخل في الأمور الخاصة لعائلات نعرفها، ولكن ليس من حقنا أن نعرف تفاصيل حياتها . وها هي أم سالم تفصح عن هذا صراحة بقولها: «تزعجنا كثيراً تصرفات الناس، كأن ابني سالم طفل بلا إحساس، فذات يوم كنّا نجول في حديقة، وكان ابني سالم يلعب، فجاء طفل رائع يشرب عصيره، فإذا بأم الطفل تغضب بشدة ورأيتها تسحب العصير من يده بعنف، تقول لابنها: ابتعد! لعلها قد ظنت بأن ابني داء أو أنه مجنون، أو أنه وباء !!». (الخطيب ، ٢٠١٢، ٢، ص ١٢-١٣)

وفي هذا قدر كبير من الاساءة، ليس للطفل نفسه فحسب، بل لذويه وأهله أيضاً، وكأنهم هم المذنبون في أن لديهم طفلاً من ذوي الحاجات الخاصة، أو كأن هذا خيارهم، لهذا رأى كاتب القصة أن مثل هذه المشاهد، التي توضح كيف يؤذي بعض الناس، بقصد أو دون قصد، أسر الأطفال المعاقين وذويهم هي مشاهد يجب أن يسجلها الأدب القصصي لتؤدي رسالتها في توعية الناس، وتوجيه سلوكهم نحو التصرف الصحيح تجاه الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وأهلهم وأسرهم في الوقت ذاته .

وإن قراءَة مثل هذا الأدب «يمكن أن تكون مفيدة في تغيير مواقف القرّاء حول الصور النمطية، فمن المهم للمعلمين أن تكون هذه التغييرات مفيدة، حيث يسعى المعلمون وغيرهم من المهنيين الذين يقدمون كتبا للأطفال حول الإعاقات إلى بناء الجسور، وليس تعزيز الأحكام المسبقة» (Adomat, 2014, p2) التي تؤدي الى مشاعر الإحباط وفقدان الأمل من التغيير المنشود .

٢- نظرة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة إلى الذات واختلافها عن الآخر:

مثلما تنوعت نظرات المجتمع المحيط إلى الأشخاص ذوي الاحتياجاتِ الخاصة، وتنوعت سلوكاتهم تجاههم وتجاه أسرهم وذويهم، كما صورتها النماذج الأدبية السابقة، فلا شك أن نظرة الأطفال ذوي الحاجات الخاصة إلى ذواتهم ووجودهم في المجتمع تتنوع كذلك، وتختلف من شخص إلى آخر، وهو ما أظهرته نماذج مختلفة من أدب الأطفال الذي جعل الطفل المعاق شخصيته الرئيسة، ففي قصة (سنطير إلى البيت) ترفض مريانا مشاركة أخويها الأنشطة التي كانا يدعوانها إليها، رفضت الرقص معهما: «أنا لا أريد، فأنا لا أستطيع الرقص» (أبو سمحة، ٢٠١٧، ص١٢)

كما ترفض الدعوة إلى الركض: « قال جعفر: هيا نشارك في السباق، لكن مريانا رفضت، وقالت: أنا لا أستطيع الركض». (أبو سمحة، ٢٠١٧، ص١٢) وهنا ندرك أن مريانا تحمل عن نفسها صورة سلبية، صورة الإنسان العاجز عن المشاركة في الأنشطة، لولا أن أخويها يصرّان على مشاركتها لبقيت صورة الذات عندها صورة نمطية، تمثل عدم القدرة، والعجز والاستسلام؛ لأن نهاية القصة أوصلتنا إلى شيء مختلف سنذكره في حينه .

وتنظر سنا إلى نفسها نظرة العجز عينها حينما يطلب منها والدها الذهاب وحدَها إلى الدكان: «اليوم ستذهبين أنتِ إلى دكان أبي جميل وستشترين المثلجات بنفسك

- فأجابت مندهشة
- كيف أخرج وحدي ؟!»

وبعد خروجها وتعرضها للأذى من أطفال

الحارة عادت للبيت لتجد أباها يصرّ على خروجها ثانية: «لم يكن أمامي إلا أن أخرج مرة ثانية . لكنني كنت خائفة هذه المرّة، وكان قلبي يخفق بسرعة، وجسمي يرتجف ..» (الحاج، ٢٠١٧، ص٤، ص ٨)

ونتوقف هنا لنستنتج أن هذه النظرة المهتزة نحو الذات، وغير الواثقة هي نتاج تربية معينة أبرز ما يميّزها غياب الوعي بضرورة تنمية شخصية الأطفال ذوي الإعاقة في البيوت أولاً، ثم في مؤسسات التربية الخاصة ثانياً ؛ وهي رسالة تؤكد أن من المهم تنشئة هؤلاء الأطفال على قدر من الاعتماد على النفس منذ البداية، وتعزيز ثقتهم بذواتهم، حتى تصبح نظراتهم إلى أنفسهم نظرات تقدير واحترام، واعتماد على الذات قدر الإمكان، فالطفل الكفيف على سبيل المثال «يجب أن يحصل على كل الفرص التي يمنحها المجتمع للأطفال الآخرين ؛ فخذ الطفل معك إلى السوق والبئر والنهر والمدرسة والمسجد، ثم أرسله بمفرده

وقدّم الطفل إلى الأشخاص الذين تقابلهم، وضّح لهم أنه فتى نشيط كأي فتى آخر، باستثناء أنه لا يرى، واطلب من هؤلاء، عند رؤية الطفل، أن يتحدثوا معه، وأن يردوا على أسئلته، واطلب منهم ألاّ يعملوا شيئاً له، بل أن يساعدوه على تصور الطرق التي تمكّنه من أن ينجز المزيد لنفسه بنفسه، وسيدرك الناس، شيئاً فشيئاً أنّ باستطاعة الطفل الكفيف / الكفيفة أن يفعل أشياء ما كانوا يحلمون بها، وسيبدؤون باحترام الطفل والإعجاب به» (عبد الفتاح، ٢٠٠٤، ص٩١)وهذا الاحترام سينتقل إلى الطفل نفسه، فيعزز ثقته بنفسه، ويؤكد قيمته الاجتماعية، لكن بكل أسف تُظهر صور الأطفال ذوي الإعاقة في أحيان كثيرة، من خلال القصص التي قدمت شخصياتهم، أشخاصاً يميلون إلى العزلة عن المجتمع، والشعور بنقص مواطنتهم، ولديهم بعض التحسس من الأشخاص الطبيعيين، فها هو نضال الذي تسببت الحمّى الفيروسية بإعاقته، كما أوضحت والدته، أصبح «كثير اللوم والعتاب لأي أحد، فقد قدرته على السير كبقية الصبيان، ولا يريد أن ينظر إليه أحد، وبالكاد يخرج من المنزل» (البكري، ٢٠١٥، ص٩)

وبرغم موهبته في الرسم إلا أنه رفض دعوة صديقه للمشاركة في معرض الرسم معتذراً بالقول: «ولكني ... كما ترى .. يصعب عليّ التنقّل من مكان إلى آخر دون مرافق، ولا أريد أن اثقل على والدتي بموضوع جديد» (البكري، ٢٠١٥، ص٩) وطلب من صديقه أن ينسى الأمر فهو «يخشى من تعليقات بعض الطلبة عليه؛ لأنه من ذوي الإعاقة الحركية، ومن سيهتم بمُقعد يرسم، حتى وإن أبدع!» (البكري ٢٠١٥، ص٢١)

هذا تصور نمطي للذات يحتفظ به بعض ذوي الاحتياجات الخاصة ينبغي أن يتغير، لكن تغييره ليس بالأمر اليسير، ومن هنا كان على أدب الأطفال أن يضطلع بهذه المسؤولية جنبا إلى جنب الأسرة والمؤسسات ذات العلاقة، وأن يحمل على عاتقه مهمة كهذه، ولا سيما إذا استطاع هذا الأدب أن يؤثر في القرّاء والمتلقين بما يحمله من رسالة سامية، وقيم مضمونية وفنية راقية جداً، «فالأدب الموجه للأطفال يمكن أن يكون مفيداً جداً في مساعدة الطفل على مواجهة المشكلات التي تواجهه في حياته، سواء كانت هذه المشكلات تتعلق بالمتطلبات الخارجية، مثل علاقته بالمدرسة أو أقرانه، أو تتعلق بمتطلبات داخلية يجب عليه أن يتعلم كيف يحققها» (مقدادي ،٢٠١٢، ص٨٦)

مثل نظرته إلى ذاته، وثقته بنفسه وتقديره لها. وها هي لين، برغم حصولها على علامات ممتازة في معظم المواد الدراسية، إلا أنها تقضي يومها حزينة لعدم قدرتها على فهم الرياضيات، فهي فتاة ذات صعوبات تعلم، وتعبّر عن هذه المشكلة التي جعلتها بمثابة مأساة حياتها قائلة: «وما زلت أشعر بالانزعاج لعدم قدرتي على حل المسائل الحسابية . وبصراحة، يزعجني أكثر نظرات بعض المعلمات وزميلاتي وكلامهن في الصف . فهنّ يعتقدن أن غرفة المصادر للكسولات. ولا يمر يوم دون أن أسمع كلمات تضايقني . وأصبحت لا أحب

غرفة المصادر، فهي تجعلني أشعر بأنني مختلفة عن بقية البنات في الصف. وأحياناً أرى البنات في الصف يتهامسن ويَضحكن أثناء خروجي من الصف» ، (الخطيب ٢٠١٢، ص١٣)

فكل هذا الانزعاج والغضب ناجم عن نظرة الفتاة لنفسها، ليس لضعفها في مادة الحساب، ولو أنها وازنت بين ما تتقنه وما لا تتقنه لوجدت لديها الكثير من عوامل القوة والثقة بالنفس، ولم تشغل بالها كثيراً بعامل الضعف الوحيد لديها، وهنا لم تدرك أسرة لين، على الرغم من تفهمهم وبذلهم جهوداً ممتازة في متابعتها منزلياً، أنه يجب إلقاء الضوء على عوامل القوة لديها حتى تغطي على عامل الضعف ذاك. والذي يعود إلى صعوبات التعلم التي تعاني منها، والتي يمكن علاجها بالتدريب والتمرين شيئاً فشيئاً .

بالإضافة إلى أهمية العمل على تغيير الواقع لما هو أحسن، فمن الأهمية بمكان أيضاً الارتقاء بالجانب الخيالي لدى الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، وتنمية هذا الخيال لديهم، ودفعهم ليعيشوا نتاج المخيلة وتجلياتها؛ لأن هذا أحد مصادر الرضا والسعادة، والثقة بالنفس، فإذا كان هؤلاء يعانون بعض العجز عن أن يعيشوا تفاصيل الواقع ومعطياته بالطرق التي يعيشها الآخرون، فإنه يمكنهم فعل ما يشاؤون إذا أطلقوا العنان لمخيلتهم أن ترتقي بهم حيث يريدون، فقد يركبون الخيل، ويطيرون في الهواء، ويركضون في مضمار السباق، ويحلمون بكل ما هو رائع وجميل.. وهذا ما عُني به بعض الكتّاب حين جعلوا أبطال قصصهم من ذوي الإعاقات يمارسون حقهم في التحليق مع الخيال ودنيا الأحلام؛ وها هي قصة (نزهة سلوى) لمحمد جمال عمر (عمرو، ٢٠٠٨) تحكي هذا النموذج، حيث نجد سلوى ترافق البدر في نزهة خيالية: «ماذا ؟! البدر يقترب من شباكي، إنه يبتسم لي ويكلّمني. كم أنت جميلة يا سلوى! ما رأيك لو تأتين معي في نزهة رائعة ؟ بكل سرور أيها القمر البديع .. هيا بنا.» (عمرو، ٢٠٠٨، ص٨-١٢)

فهذه الرحلة الخيالية يريد منها الكاتب أن يدفع هؤلاء الأطفال إلى اختلاق أحلامهم وخيالاتهم الخاصة، وممارسة قدراتهم في ابتكارها، وهي لا شك خيالات تعويضية تعوّض هؤلاء الأطفال عن أمور كثيرة يصعب عليهم إنجازها في إطار الواقع، لكن المخيلة تنجزها لهم بأبسط مما يتصورون، ولا شك أن الدراسات الحديثة حول الخيال تؤيد مثل هذا النشاط الذهني، بل إنها تشير إلى نسبة عالية من الذكاء عند مَنْ يشحذون مخيلتهم، ويختلقون رفقاء خياليين، حيث «يكون مستوى الذكاء عند هؤلاء أعلى من المتوسط .. والطفل الذي يكون لديه رفيق خيالي يكون في الغالب أعلى في ذكائه من قرينه؛ أي أنهم أكثر ذكاءً من أقرانهم المساوين لهم في العمر الذين ليس لديهم رفقاء خياليون.. وقد أشارت الدراسات إلى أن هؤلاء الأطفال أكثر إبداعاً من غيرهم الذين ليست لديهم هذه الظاهرة» (عبد الحميد ٢٠٠٩، ص١١٧)

وفي واقع الأمر فإن أدب الأطفال يتخذ من أنشطتهم الخيالية ركيزة أساسية، غير أن أدب الأطفال الذي يعالج قضايا الأطفال ذوي الاعاقات لم يُعر هذه المسألة ما تستحقه من اهتمام، ماعدا بعض النماذج التي التفتت لأهمية توظيف الخيال والأحلام في موضوعها، وقد أحسن بعض كتّاب هذه النماذج حين وصل إلى مجال الخيال العلمي واستثمره في قصص ذوي الحاجات الخاصة، فرواية (بيت ديمة) لسناء الشعلان، هي رواية خيال علمي أبطالها من ذوي الحاجات الخاصة، تروي فيها ما صنعه (والد ديمة) المصابة بمتلازمة داون الدكتور العالم (شجاع الوردي) (مخطوط الشعلان، ٢٠١٧،) المختص بالفيزياء الكونية من طريقة علمية فلكية تدعى (الفجوة النورانية) تمكنه من اصطحاب ديمة وأصدقائها من ذوي الحاجات الخاصة في رحلة عبر الزمان، وهو «يحلم بأن يصل إلى الفجوة النورانية الموجودة في أرض البيت الذي اشتراه ليحصل لي على

Int. J. Ped. Inn. 8, No. 1, 48 - 69 (Jan. 2020)

السعادة التي يحلم بأن أعيش فيها ... وقد انطلق يبحث عن علاج لي ولغيري من أطفال العالم من ذوي الاحتياجات الخاصة» . (مخطوط الشعلان، ٢٠١٧، ص١٤-١٥)

لقد اتضح لنا في بداية هذا الفصل كيف كانت نظرة بعض أطفال الاحتياجات الخاصة إلى أنفسهم، وقدت بدت هذه النظرة في بعض النماذج الأدبية نظرة سلبية نمطية، تتمثل في شعور هؤلاء الأشخاص بالعجز والنقص وعدم القدرة، وقد حاولت بعض النماذج الأدبية إدانة مثل هذه النظرة، ورفض مثل هذا التفكير من خلال تصويره في القصص المشار إليها .

لكن في الجهة المقابلة عرضت بعض القصص لنماذج من هؤلاء الأطفال يؤمنون بأنفسهم إيماناً كبيراً وينظرون إلى ذواتهم نظرات إيجابية بخلاف النظرات النمطية، ملؤها الثقة والاعتزاز، ذكرها الكتّاب في نماذجهم للإشادة بأصحاب هذه النظرات وهذا الاعتبار للذات، وتعزيزهم، وليوضحوا من خلالها ضرورة التحلي بالشجاعة والثقة بالنفس، برغم الإعاقة، وبرغم الظروف الصعبة التي يعيشها هؤلاء الأطفال، فالطفلة ديمة، في رواية سناء الشعلان، مثال أعلى للطفلة التي تنظر إلى نفسها نظرة اعتزاز وافتخار: «عليّ أن أشعر بالسعادة لأنني مختلفة ومتميزة عن غيري من الأطفال ؛ فالله يميّز الأطفال الذين يحبهم .. لست أقل من غيري من الأطفال، بل أنا أرى الحياة بشكل مختلف، وأملك طاقات خاصة لأنني طفلة من أطفال (متلازمة داون)، أنا أرى الحياة بقلبي الطيب الذي لا يعرف الحقد». (مخطوط الشعلان، ٢٠١٧، ص٦) فهذه النظرة الإيجابية إلى الذات نتاج تربية معينة يتلقاها الطفل في بيته أولاً، فوالد ديمة هو الذي أكد لها بأنها تمتلك هذه الصفات الإيجابية، وبأنها مختلفة لأنها متميّزة وأن الله يحبها . وفي ذلك توجيه من الكاتبة للأهل للعمل على تعزيز الصورة الإيجابية في نفوس أطفالهم ،ورفع مستوى ثقتهم بأنفسهم، كما فعل والد ديمة ووالدتها وجدتها .

وفي قصة أمل الرندي (الكرسي المتحرك لا يعيقني) (الرندي، ٢٠١٤) تُظهر وفاء رضاها عن نفسها، وعمّا تقوم به من أعمال: «سألتها نجلاء: ماذا تفعلين في العطلة الصيفية يا وفاء، وكيف تقضين وقتك ؟ نحن أحياناً نشعر بالملل. ردّت وفاء مبتسمة: الحمد لله، لا أشعر بالملل، فوقتي دائماً ممتلىء بالأنشطة... على الرغم من مرضي الجسدي، وعدم قدرتي على التحرك، فدائماً لدي ما أفعله، والله أكرمني بموهبة الرسم وأنا صقلتها والحمد لله بدراسة الفن، وما بين الدراسة والرسم ليس هناك وقت فراغ» ، (الرندي، ٢٠١٤، ص١٤)

وبهذا تؤكد لنا وفاء رضاها عن ذاتها، وأنها تنظر إلى هذه الذات نظرة إيجابية تجعل منها فتاة فاعلة في بيئتها ومجتمعها، لتكون مواطنة فاعلة معطاء، وفي غالب الأحيان ينبع مثل هذا الرضا من عوامل مساعدة تصر على تقديم حوافز نفسية مشجعة للأطفال ذوي الحاجات الخاصة، وتقنعهم بأنهم إيجابيون وفاعلون وقادرون، كما فعلت كارولين صديقة نايري، ونايري هذه مصابة بالتهاب المفاصل الريثاني، الذي يصيب المفاصل ويتسبب لصاحبه بالعجز عن الحركة، فقد استمرت كارولين بإقناع نايري على المضي قدماً في حياتها، والاّ تستسلم «تفاءَلت نايري بكلام صديقتها كارولين؛ لأنها كانت تحدثّها بطريقة والدتها نفسها وتقوّيها. نايري: أنا سعيدة الآن؛ لأن شخصاً من خارج عائلتي استطاع أن يفهمني ويتقبّل وضعي الصحيّ، أشكرك كثيراً يا كارولين» (الغصاونة، ٢٠١٥، ص٦).

ومثل الدور الذي لعبته كارولين يقوم الأب بالتوضيح للجميع، مستغلاً كل مناسبة بأن ابنه وليد المصاب بالشلل التشنجي ذكاؤه طبيعي، مما يدفع بوليد ليؤكد للجميع ثقته بنفسه قائلاً: «بعضهم يظن أن من يستخدم الكرسي المتحرك ليس ذكياً» (الخطيب، ٢٠١٢، ٧، ص ٩)

فجزء من المشكلة لدى بعض الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة يعود إلى ما عالجه هذا البحث في بدايته، وهو نظرة الناس القاسية، ممن لا يقتنعون بإنسانية هذه الفئة ولا بقدراتهم، في حين يساعدهم كثيراً الأقارب والأصدقاء الذين يتفهمون ظروفهم وأوضاعهم، فها هي عبير صديقة دعاء تبدي إعجابها بها وتؤلف فيها قصيدة تقرؤها في الطابور الصباحي أمام الجميع في المدرسة، وتقول فيها :

«صديقتي دعاء لا ترى الأشياء
لكنها مثلي سعيدة بحياتها
وتعتني بذاتها
تذاكر الدروس وبعد ذلك تلعب
تستخدم الحاسوب من غير أن تتعب
بلطفها وصبرها دعاء معروفـــــة»

(الخطيب، ٢٠١٢، ٦، ص١٦)

إذن، مثلما واجهنا أشخاصاً من ذوي الاحتياجات الخاصة ينظرون إلى ذواتهم نظرة سلبية، تعزز عندهم عقدة النقص، وتدفع بهم إلى العزلة والبعد عن الناس، أو تشاؤمية تجعلهم يشككون في قدراتهم وإمكاناتهم، مثلما واجهنا هذه الفئة منهم، فثمة فئة أخرى مفعمة بالإيجابية والانطلاق، وحب الحياة والثقة بالذات، فئة لم تتوقف عند إعاقتها، بل تجاوزت ذلك إلى التفاؤل والرضا والخروج إلى المجتمع، وممارسة الحق في المواطنة الحقيقية، والتواصل مع المعارف والأصدقاء... وقد وجدنا كتّاب القصة يلقون بأضوائهم على ذوي النظرة السلبية، ويجعلون أحداث القصة تجري بهم نحو تغيير نظرتهم، وأنهم في نهاية الأمر لا بدّ من الخروج من الحالة التشاؤمية والتحوّل إلى الجانب الإيجابي، الذي يفترض أن يكونوا عليه، ليتساووا مع أقرانهم من ذوي الإعاقة الإيجابيين، ممن امتازوا بالثقة بالنفس والرضى بحالتهم، والتأكيد للمجتمع بأن هذه الإعاقة تجعلهم مختلفين فحسب، ولا يمكن أن يكونوا عاجزين أبداً .

٣- دور أدب الأطفال في إنتاج البطل المختلف وتعزيز دوره في المواطنة، وتنشئته على المشاركة والعطاء:

لكل فن من الفنون، ولكل نوع أدبي وظيفة ورسالة، وأهم جانب من جوانب رسالة أدب الطفل أنه أدب يوجّه ويعلّم، ويرى السير تيدهيوز الشاعر البريطاني المعروف، «والذي كان في نفس الوقت كاتباً للأطفال، أنّ الأطفال يستمعون ويقرؤون من أجل غرض واحد هو أن يتعلموا، كل شيء حقيقي بالنسبة إليهم، لذا فإن على كاتب الأطفال أن يتوخى الحذر، فهو يشكل عجينة طرية تمتص كل ما يصل إليها وتصدّقه، وعملية التعلم هذه من خصائص الطفولة، والبشر يبقون أطفالاً لمدة سنوات؛ لذا يظلون لسنوات طويلة في حالة من التعلّم، وسواء أكان كتّاب الأطفال يقصدون ذلك أم لا، فإن عليهم أن يعلموا ؛ لأن قارئهم في حالة من التعلم المستمر، وفي كل رواية أو قصة قصيرة يجب أن يكون هناك هدف ما، وعلى القارئ الصغير أن يخرج بفكرة أو اتجاه لم يكن موجوداً عنده قبل بدء القرءَاة، حتى وإن لم يستطع التعبير عنه بوضوح» (قنديل ٢٠٠٢، ص٣٧)

فالذي لا شك فيه أنّ قدراً من التحّول والتغيير، لا بد أن يحدث للقيم والسلوك بتاثير النماذج الأدبية، الأشخاص والأحداث والأفكار، ومن هنا يأتي الحذر الذي يتحدث عنه نقاد أدب الطفل بوجه عام، فما بالكم بالحديث عن الأدب الموجّه للأطفال ذوي الحاجات الخاصة، على وجه الخصوص؟ هذا الأدب الذي اتخذ من أطفال مختلفين أبطالاً وشخصيات رئيسة، يقدمها الكاتب كنماذج إنسانية في أعمال قصصية متنوعة، ليطلع عليها أقرانهم، وغيرهم من أفراد المجتمع المحيط، في المدرسة والبيت والحارة، ويكوّنوا من خلالها معرفة جديدة، وسلوكاً وقيماً، لم يكونوا يعرفونها من قبل، وإذا حدث هذا أو جزءٌ منه، فإنه يمكن القول بأن هذا الأدب أدى وظيفته، وحقق رسالته، ويمكن تأكيد ما قاله الأمير رعد بن زيد، رئيس

المجلس الأعلى لشؤون الأشخاص المعوقين بالأردن، في تقديمه لمجموعة قصصية من هذا النوع بأنها «تساعد المجلس على تحقيق رؤيته في إقامة مجتمع يتمتع فيه الأشخاص ذوو الإعاقة بحياة كريمة مستدامة تحقق لهم دمجاً كاملاً ومشاركة فاعلة قائمة على الإنصاف والمساواة، وأرى أن تلك هي القيمة الأساسية التي تسعى هذه المجموعة القصصية إلى زرعها في نفوس الصغار والكبار على حدّ سواء ... هذا العمل سيكون أداة مؤثرة وفاعلة في تشكيل اتجاهات واقعية إيجابية لدى طلبة المدارس وأولياء أمورهم ومعلميهم، وأفراد المجتمع بوجه عام نحو الأطفال ذوي الإعاقة في الدول العربية» (الخطيب، ٢٠١٢، التقديم)

وتشكيل هذه الاتجاهات الإيجابية لدى هؤلاء الأطفال أنفسهم أيضاً، بما يرفع من هممهم، ويؤكد لهم – عبر العديد من الصور والأفكار التي يطرحها هذا الأدب – أنهم مواطنون لهم كامل حقوق المواطنة، وقادرون على القيام بما تمليه عليهم هذه المواطنة من واجبات، حسب قدراتهم وإمكاناتهم، إذ» لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها» (سورة البقرة، آية ٢٨٦)

هذه هي الرسالة المطلوبة من الأدب، وهذه هي الوظيفة المبتغاة، فإلى جانب ما يقدّمه الأدب من متعة وفن، فهو مطالب بتقديم المنفعة والفائدة في الوقت نفسه، وإنّ هذا الفصل من البحث يسعى للكشف عن المضامين والأفكار القيمة التي ضمّنها الكتّاب أعمالهم الأدبية موضوع الدراسة الحالية، وهذه الأعمال التي تحدثت عن شخوص من ذوي الاحتياجات الخاصة جعلت أحد أبرز همومها تصوير: كيف ارتقى هؤلاء بأنفسهم ليصبحوا مواطنين فاعلين ومنتجين، ينفعون أنفسهم ومجتمعاتهم، بالرغم من ظروفهم الصعبة، وهو ما أراد كتّاب النماذج القصصية المدروسة أن يزرعوه ويعززوه، بحيث يقتنع أفراد المجتمع أولاً بأن ذوي الإعاقات ليسوا عَجَزة أو عبئاً، كما يرى بعض المتحاملين والمتشائمين، بل هم ذوو همم، كما أشرت من قبل، لذا يجب أن يمنحوهم الفرص المناسبة لإثبات ذواتهم، وبحيث تتعزز أيضاً حقيقة المواطنة من خلال الثقة بالنفس والإيمان بالذات وقدراتها على العطاء والانتماء والإنجاز لذوي الحاجات الخاصة أنفسهم، ويؤمن بهذا المجتمع من حولهم، وهذا ما ستعرضه النصوص الأدبية التي بين أيدينا .

ففي قصة (الفتى الذي أصبح فناناً) لصفاء عبد المنعم (عبد المنعم، ٢٠١٥، ص١٠) رأينا علاء يشجع حامد الساكن الجديد- وهو من ذوي الحاجات الخاصة- على رسم صور الأطفال الحارة مقابل مبلغ من المال، «وقد اتفق مع الأطفال في الشارع أن يرسم حامد لهم بعض الصور مقابل مبلغ من المال، وأخذ حامد كل يوم يرسم صورة لطفل، وعلاء يأخذ المال الى أن جمّع مبلغاً كبيراً، وفي يوم من الأيام دخل علاء ومعه والده، وهو يجر كرسياً جديداً بعجل لحامد كي يجلس عليه، ويخرج من البيت ويلعب مع الأطفال، ومن يومها صار حامد يرسم صوراً جميلة ويبيعها لأهل الحيّ والأصدقاء، وأقام معرضاً جميلاً بالبيت الجديد، وحضر جميع الأطفال، ومعهم الورود والهدايا الجميلة لحامد».

وبذا، فقد حقق حامد ذاته، بل حصل على مصدر للمال بواسطة لوحاته التي يرسمها، ويودع فيها رسوماته التي باتت تزيّن الجدران في بيوت الأصدقاء والمجتمع الذي يعيش فيه، فهو كأي مواطن آخر إنسان منتج، يعود بالنفع على نفسه ووطنه . ومثل حامد نجد أيضاً (طارق) الذي «فاز بالمركز الأول، وقف الجمهور ليصفقوا لطارق، صفّقوا له كثيراً لأن لوحته جميلة .. جميلة جداً» (صالح، ٢٠١٦، ص ١٨).

إن ذكر مثل هذه النماذج الإنسانية في أدب الأطفال يستحضر صوراً معاكسة للصورة النمطية للطفل المعاق، الذي لم تتح له الفرصة ليكون مواطنا فاعلا منتجا ، فهذا الطفل ما عاد يقف على الهامش، ولم يعد أيضاً مجرد شخص عاجز

ينتظر من يشفق عليه، بل هو قادر على الإنجاز والإنتاج والوصول الى مقدمة الصفوف كمواطن مشارك في المجتمع، وقد كانت بعض النماذج الأدبية تدفع بقوة بهذا الاتجاه بعدة وسائل وأساليب كما تعرض هذه الصفحات، حتى إن بعض هذه القصص التفت بذكاء إلى موضوع (القدوة والمثل الأعلى) من خلال الاستشهاد بأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة ممن حققوا الشهرة والنجاح الفائقين، بكفاحهم وإيمانهم بذواتهم وقدراتهم، حتى حققوا مستوى رفيعا من المواطنة، بل صاروا قدوة ونموذجا يحتذى من قبل مواطنين عاديين وأصحاء، ومن هذه النماذج القدوة التي جاء على ذكرها بعض الأدباء: طه حسين، وبتهوفن، وهيلين كيلر، وفريدا كاهلو. (البكري، ٢٠١٥)، (الرندي،٢٠١٥)، (الزمر، ٢٠١٥).

وكي يلعب الأدب دوراً في هذا الاتجاه فإنه يعمل على تقديم أوصاف إيجابية ومشجعة لهؤلاء، فقد وصفت قصة (الكرسي المتحرك لا يعيقني) الفتاة المقعده وفاء بالفنانة: «وفي اليوم التالي التقت نجلاء وريم بـ (الفنانة) وفاء، وكان أمامها العديد من الألوان المائية، الزيتية، الطبشورية، والأقلام الملونة، ريش وفرش كبيرة وصَغيرة، وعدد من أدوات الرسم الأخرى، وقفت نجلاء وريم تتأملان وفاء وهي ترسم وتمزج الألوان فيظهر لون جديد.. استمتعت نجلاء وريم بمزج الألوان وظهور ألوان جديدة . ابتسمت وفاء وقالت هل أعجبتكما طريقة مزج الألوان؟

- أجابتا: نعم، جميلة جداً!
- ضحكت وفاء وقالت: أهلاً وسهلاً، ما رأيكما بأن أرسمكما ؟
- ردت ريم ونجلاء معاً: أممم! لم لا، فكرة جميلة» (الرندي ٢٠١٤، ص ١٨).

وهكذا لا تلتفت القصة إلى كرسي وفاء المتحرك أبداً، وكأن الكاتبة تعتبره غير موجود، لذا فهي تركزّ للقاريء على أدائها، وحوارها، وشخصيتها، وإبداعها، وكأننا نقرأ عن شخصية طبيعية جداً، بل متفوقة، لا ينقصها شيء ... فكانت صورة هذه الفتاة (وفاء) مطابقة تماماً لوصفها بأنها (فنانة) كما ورد .

وعليه فإن من إبداع كتاب الأطفال الذين يتناولون شخصية المعاق في قصصهم عدم لفت النظر إلى جانب العجز في الشخصية، والتركيز فقط على جانب الإنجاز المضيء فيها، فسناء الحطاب (الحطاب، ٢٠٠٩، ص٨-١١) تسرد لنا قصة كاملة عن ضياء مشجع كرة القدم الكفيف التي أسمتها (المشجع الرائع) دون أن نشعر بأنه كفيف إلا في نهاية النص حين مدّ يده وتناول عصاه: «كانت المباراة قوية، وكان لاعب الفريق الأزرق يركض نحو المرمى، صاح وليد: انتبهو يا أبطال الفريق الأحمر.

- هتف ضياء: هيا يا أزرق سدد بقوة .. رائع .. رائع، ها قد فزنا .
- هنأ وليد صديقه ضياء على فوز فريقه .

قال وليد عليّ أن أذهب لقد تأخرت، وأمي تنتظرني .

- قال ضياء: نذهب معاً، وتحسس تحت المقعد الخشبي، وأخرج (عصا طويلة) أخذ يتلمس بها طريقه» . (الحطاب، ٢٠٠٩، ص٨-١١).

فمنذ بداية القصة إلى نهايتها لم نحسّ إلا بتفاعل رائع من هذا المشجع مع اللعبة، وأدائه الجميل في التشجيع اعتماداً على سمعه وبصيرته، حيث يحيا لحظات متابعة المباراه بمتعة وشغف، بل بروح رياضية عالية.

ومن هذا النوع من القصص أيضاً (نزهة سلوى) (عمرو، ٢٠٠٨)، التي تتخيل كيف شاركت القمر في نزهة خيالية رائعة، دون أن يذكر القاص محمد جمال عمرو شيئاً عن إعاقتها حيث لم يعلم القاريء ذلك إلا من خلال الرسم الذي أظهرها تتكيء على عكازيها .

Int. J. Ped. Inn. 8, No. 1, 48 - 69 (Jan. 2020)

رسالة الأدب المكتوب للأطفال ليست فقط التركيز على مواطنة هؤلاء الأشخاص واندماجهم الطبيعي في المجتمع، بل من رسالته أيضاً إبراز جوانب إبداعهم وتميّزهم وتفوقهم، كما في قصة الفتاة نايري (سنطير إلى البيت) التي رافقت أخويها في مشوارهما، وعند العودة لاحظ الجميع تأخرهم عن والدتهم، وخلال مرورهم بعربة بالونات: «فجأة صرخ مصطفى بفرح غامر: يا سلام بالونات! فبدأ بالمشي نحوها، لكن جعفر سحبه من يده وقال: لقد تأخر الوقت إنّ أمنا ستخاف علينا.

بدأت مريانا الذكية بالتفكير، فخطرت ببالها فكرة جميلة، وقالت: سنطير إلى البيت! «(أبو سمحة ٢٠١٧ ص ٢٤- ٢٦).

وبهذا تظهر الكاتبة صورة الفتاة نايري المصابة بشلل رباعي بأنها ذات أفكار لامعة وذكية، ولم تمنعها ظروفها من التفكير بإيجابية وإبداع، حيث لفتت البالونات نظرها إلى إمكانية استخدامها للطيران بواسطتها كما المنطاد أو ما شابه، وهذه رسالة للقرّاء الطبيعيين بألّا يستخفوا بهذه الفئة من الناس، ورسالة لذوي الاحتياجات الخاصة بأن يؤمنوا بأنفسهم وطاقاتهم وقدراتهم على العطاء، بل قدرتهم على مساعدة الآخرين أيضاً، ولم لا ؟ فهم مواطنون مكتملو المواطنة، وإنّ اختلافهم عنّا لحكمة إلهية .. وهنا يأتي دور الأدب لكشف هذا الجانب المشرق في حياة ذوي الاحتياجات الخاصة، بغية تغيير الصورة النمطية لدينا عن هؤلاء الناس، وليدفعنا لتقريبهم إلينا، وعدم نبذهم وتهميشهم .

إذن تأتي أهمية النماذج القصصية موضع الاستشهاد في هذه الدراسة من أنها تؤدي وظيفة غاية في الأهمية تجاه الأشخاص ذوي الحاجات الخاصة، فكتّابها يجهدون في إبراز الجوانب التي تكسب هؤلاء الأشخاص تقديراً واحتراماً اجتماعيين بسبب ما يملكون من مواهب وإمكانات، يعمل الأدب على إبرازها وتقديمها للقرّاء . والمزيد من النماذج تؤكد هذا .

ففي (حكايات ذات متعة وفائدة) يسرد على الهصيص (الهصيص، ٢٠١١) حكاية القزم عقلة الأصبع وكيف أنقذ أخوته من الضياع في الغابة حين قرر أن يأخذ معه مجموعة من الحصى، بعدما سمع والدهم ينوي إرسالهم إلى الغابة ليعتمدوا على أنفسهم، حين وقعت العائلة في ظروف مادية صعبة: «وفي أثناء حديث الزوجين كان عقلة الإصبع قد غادر فراشه حتى يطمئن على سلحفاته، فسمع ما دار من حوار بين والديه، أخذ يفكر طوال الليل في وسيلة ليستطيع هو وأخوته الرجوع إلى المنزل، فجأة اهتدى إلى فكرة، وأخذ يجمع الحصى الصغيرة ذات اللون الأبيض، ثم عاد إلى الكوخ واستلقى في فراشه، سار الأب برفقة أبنائه إلى أن وصلوا الغابة». (الهصيص، ٢٠١١، ص ٦٧) وبالطبع استطاع هذا القزم (عقلة الأصبع) أن يعود بأخوته الى كوخهم عن طريق الحصى التي جعلها علامة تدله على الطريق، وبذا تشيد الحكاية بذكاء هذا الطفل وحسن حيلته وفائدة إنجازه .

ولا شك أنّ هذا الإبداع في التفكير والتصرف هو ما تتميز به الذات، وتتقدم به المجتمعات والأوطان، وهو ما عبّر عنه بعض الأطفال تعبيراً مباشراً، كما فعلت ديمة في حديثها عن نفسها وزملائها من الأطفال المختلفين (مخطوط الشعلان، ٢٠١٧) حين قالت: «لقد اكتشفنا أخيراً أن علينا أن نصمم بأن نحظى بحقنا في الحياة والسعادة، وأن نشارك في بناء المجتمع، حتى وإن كنا مختلفين» (مخطوط الشعلان، ٢٠١٧، ص ٦) وهذا بالطبع ناتج عن تأثير التنشئة الصحيحة من قبل الوالدين أو أحدهما، وهو الأب في حالة ديمة، حيث زرع فيها ثقة بالنفس تكاد تكون مطلقة .

وتؤكد ديمة بأن على الأهل أن يعززوا خبراتهم بما تقدمه المؤسسات المتخصصة لمساعدتهم على الإنتاج والعطاء لذا بدأ والد ديمة «يتعلم من تجارب تلك المؤسسات في رعاية الأطفال المختلفين، ودعمهم وتعليمهم لأجل أن يقوموا

بدورهم الإنساني في البناء، كي لا يكونوا مجرد أعباء على المجتمعات، وعلى الأفراد وعلى أنفسهم» (مخطوط الشعلان، ٢٠١٧، ص ١٢)

وهنا يدعو الكاتب الى تمكين هؤلاء الأطفال بطريقة ليست ارتجالية، بل بطريقة تعتمد على خبرات وتجارب ومعارف جهات متخصصة، كما ورد على لسان ديمة، والحقيقة أن هذا التفكير يتسم بقدر من العلمية والواقعية التي تؤدي إلى تحقيق الغاية في استثمار طاقات هذه الفئة من الناس، ودمجهم، ودفعهم نحو العطاء ونفع مجتمعاتهم كغيرهم من مواطني أي دولة وأبنائها، إذ يرى الباحثون «أنّ الكتابة للطفل تستوفي شروطها الموضوعية إذا استطاعت أن تدمجه في العالم»، (بن جلولي، ٢٠١٧) فيغدو جزءا منه، له ما لأعضائه من حقوق، وعليه ما عليهم من واجبات، شرط أن نتقبلهم أولاً، وأن نتخلص من عقدة صورتهم النمطية ثانياً، وقد سمعنا (نايري) (الغصاونة ٢٠١٥) المصابة بالالتهاب الرثياني تقول: «أنا سعيدة الآن لأن شخصاً من خارج عائلتي استطاع أن يفهمني ويتقبل وضعي الصحي، أشكرك كثيراً يا كارولين» (الغصاونة ٢٠١٥، ص ٦)

وهذا ما أدى بها للقول أيضاً «أعدك يا أمي.. لن أقف عند مكان، ولن أضعف أمام أحد، لقد تعلمت منك الصبر والإرادة، وكذلك العزيمة، لذلك أنا لن أخذلك ما حييت، سأتحدى نفسي أولاً، سأتغلب على مرضي، سأثبت للجميع بأن من كان مثلي يستطيع فعل الكثير، وسأسعى لأن تتغير نظرة المجتمع إلى الأفضل لمن يعانون مثليٍ الآن، سأقول للجميع: أنا فرد منتج، وليس عبئاً على أحد». (الغصاونة ٢٠١٥، ص ١٣)

إن التنشئة القائمة على العناية الخاصة بهذه الفئة من الناس، وتشجيع الأهل والأصدقاء والبيئة المحيطة يصنع مثل هذه النتيجة، حتى إن (سناء) تخيلت أن دميتها هي التي تشجعها، واستفادت من ذلك: «رفعت الغطاء عن وجهها، تلفتت في أرجاء الغرفة تبحث عن مصدر الصوت، ويا لدهشتها! إنها الدمية التي تمشي على رجليها، التي أهداها لها والدها بمناسبة تفوقها في الدراسة .

- نعم، ستذهبين ياسناء .
- وشيئاً فشيئاً تلاشى ذلك الخوف، فقد ألفت هذا الوجه الذي طالما تحدثت إليه وشكت له مواجعها وآلامها .
- ولكنك تعلمين أني لا أستطيع المشاركة فليس لي القدرة على الجري، لعب كرة القدم، أو القفز على الحبل.
- وضعت الدمية يدها على كتف سناء قائلة:
- ولكنك تستطيعين أن تكوني حكماً في بعض المباريات.. أو تسجلي النتائج .. أو تشجعي فريقك.
- نظرت سناء إليها، لقد راقها الحديث كثيراً .
- نعم ياسناء، الحركة لاتعني المشي على الأقدام فقط، هناك الملايين الذي يمشون على أقدامهم، ولكن لايزالون يقفون في أماكنهم .. الحركة تعني التغيير نحو الأفضل، هي تحريك مشاعر الناس النبيلة، القراءَة حركة .. الرسم حركة .. حبك للآخرين حركة، إنك تتحركين يا سناء .. أقسم أنك تتحركين..» (الزمر ٢٠١٥، ص ٣)

وبسبب هذا التشجيع الذي أوحته لها الدمية «هاهي سناء ترفع يدها عالياً، فهي اليوم تريد المشاركة وليس فقط المراقبة. فهنا تحكم في إحدى المباريات، وهاي هي تقف في نهاية الساحة في لعبة الجري تعلن عن أسماء الفائزين، وتارة تشجع فريقها .. وهنا .. وهنا.

وفي نهاية المهرجان تعلو وجهها ابتسامة مشرقة وهي تنظر إلى لوحتها الجميلة بعد أن تم اختيارها كأفضل لوحة في المهرجان .. فرقصت من شدة الفرح، وهكذا تحركت سناء» (الزمر ٢٠١٥، ص ٤)

وهكذا حققت وجودها في مدرستها، وحققت مواطنتها في مجتمعها، لاشيء ينقصها، فهي قادرة على تقديم ما لديها من مهارات، تماماً مثل الطفلة الكفيفة (دعاء) التي تصفها صديقها بأنها» تعتني بذاتها، وتذاكر الدروس، وتستخدم الحاسوب، وغالباً ما أنسى أنها مكفوفة» . (الخطيب، ٢٠١٢، ٦، ص ١٦)

ومثل (بسمة) التي تخاطب أمها بالقول: «نعم أنا مميزة يا أمي، رسوماتي التي زينت بها جدار المنزل تشهد لي، في تلك الصور تخبرك عني: مع أصدقائي في المدرسة، في الرحلات، وعلى المسرح أؤدي دور الفراشة» (عدنان ، ٢٠١٣)

هذه هي المشاركة، وهذه هي المواطنة التي تنبع من إنجازك الخاص، ومساهمتك بما تستطيعه، المهم أنك غير عاجز، مشارك وليس مجرد مراقب. هكذا وجدنا أبطال القصص السابقة، الذين دلّوا على قدراتهم وعطاءاتهم وإنجازاتهم، فبالرغم من ظروفهم الصعبة، ومشكلاتهم الصحية أو العقلية، إلا أنهم تحدّوا ظروفهم، وآمنوا بذواتهم، ووجهوها نحو الإنتاج والإنجاز، نحو المشاركة والعطاء، نحو المواطنة بأجمل معانيها.

قائمة المراجع:

المراجع العربية :

أحمد زلط . (١٩٩٨). أدب الطفل العربي، دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، دار هبة النيل، القاهرة .

أحمد العمري. (٢٠١٧). القبول الاجتماعي حق للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، مجلة خطوة، عدد ٣١. المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة: جمهورية مصر العربية.

إسماعيل عبد الفتاح (٢٠٠٤). التنمية الفكرية والثقافية لذوي الاحتياجات الخاصة، الدار الثقافية للنشر، القاهرة .

أمل الرندي (٢٠١٤). حدائق العسل، قصة: الكرسي المتحرك لا يعيقني، دار شمس، الكويت .

بيتر ستيرنز. (٢٠١٥) الطفولة في التاريخ العالمي، ترجمة: وفيق كريشات، عالم المعرفة: الكويت.

جمال الخطيب .(٢٠١٢). نحن جميعاً متشابهون.. نحن جميعاً مختلفون، مجموعة قصصية من ٧ أجزاء، مقدمة بقلم الأمير رعد، عمان: الأردن.

جمال الخطيب .(٢٠١٢). ابني سالم، ج ٢، دار وائل، عمّان: الأردن.

جمال الخطيب. (٢٠١٢). لا أفهم الحساب، دار وائل، عمّان: الأردن.

جمال الخطيب. (٢٠١٢). أخي لديه توحّد، ج٥، دار وائل، عمّان: الأردن.

جمال الخطيب. (٢٠١٢). ابنتي دعاء، ج٦،دار وائل، دار وائل، عمّان: الأردن.

جمال الخطيب .(٢٠١٢). وليد وكرسيّه المتحرك، ج٧، دار وائل، دار وائل، عمّان: الأردن.

جون آيكن. (١٩٨٨). كيف تكتب للأطفال، ترجمة: كاظم سعد الدين، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد: العراق .

جيرنيمو سيتلتون. (٢٠٠٧). عالم فريد الفريد، ترجمة: أميرة اسكندر، دار الشروق ، القاهرة.

سمر روحي الفيصل. (١٩٨٨).أدب الأطفال وثقافتهم: قراءة نقدية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق .

سنا الحاج. (٢٠١٧). لا شيء يعيقني، ط١، دار أصالة، بيروت:لبنان.

سناء الشعلان. (٢٠١٧). بيت ديمة، رواية مخطوطة، قيد النشر ،عمان:الأردن.

سهير صالح إبراهيم. (٢٠١٠). صورة المعاق في البرامج والمواد التلفزيونية، دار العالم العربي، القاهرة .

سيرين الغصاونة .(٢٠١٥). نايري وردة للأمل، قصة تم عرضها مسرحيا في عدة مدارس أردنية، عمان:الأردن.

شاكر عبد الحميد.(٢٠٠٩). الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي، عالم المعرفة، الكويت .

صفية البكري.(٢٠١٥). أحبوني كما أنا، دار الصديق للنشر، عمان.

علي الهصيص.(٢٠١١). حكايات ذات متعة وفائدة، دار الأسرة، الإمارات العربية المتحدة.

فداء الزمر.(٢٠١٥). هكذا تحركت سناء، وزارة الثقافة، عمان .

لينا أبو سمحة. (٢٠١٧). سنطير إلى البيت، المطابع المركزية، عمّان.

المجلس الأعلى للطفولة والتنمية .(د.ت). نحو بيئة آمنة: دليل استرشادي لحماية الطفل العربي ذي الإعاقة من الإساءة، القاهرة: جمهورية مصر العربية.

محمد جمال عمرو. (٢٠٠٨). نزهة سلوى، منشورات وزارة الثقافة، عمّان .

محمد قنديل. (٢٠٠٢). مشكلات الكتابة للطفل العربي، ضمن: ثقافة الطفل العربي، كتاب العربي، مجموعة من الكتّاب، الكويت .

موفق مقدادي. (٢٠١٢). البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، عالم المعرفة، عدد٣٩٢، الكويت .

نوري الجراح. (٢٠٠٢). ماذا نعرف عن الأطفال.. ماذا نكتب لهم؟ ضمن كتاب العربي: ثقافة الطفل العربي، مجموعة من الكتّاب، الكويت .

هيا صالح، لوحة طارق. (٢٠١٦). دار البيروني للنشر والتورزيع، ط١ ،عمّان .

وسام سعد. (٢٠١٦). حينما صرخ الأطفال بقوة، ط١، عمان .

المواقع :

عبدالحفيظ بن جلولي.(٢٠١٧). أجراس: الكتابة للطفل المعاق: التغلب على الإعاقة والاندماج في العام، موقع: www.eldijoumhouia.dz.

تسنيم حسن. (٢٠١٣) .ثوبي أبيض، موقع: عود الند، www.oudnad.net.

صفاء عبد المنعم. (٢٠١٥). الفتى الذي أصبح فناناً، مدونة الكاتبة: blogspot.com/2015 Safaa – 3.

ظلال عدنان. (٢٠١٣). بسمة، من موقع: www. oudad.net.

المراجع الإنجليزية:

Adomat, Donna.(2014).Exploring Issues of Disability in children's Literature, Disability Studies Quarterly. V0134. N03. The Ohio State University Libraries.USA.